



الإخوار المسلمون

19 أبريل 2016

كتب: محمد عبدالرحمن المرسي

الدكتور محمد عبد الرحمن المرسي يكتب

الابتلاء هو سنة الله في الأرض ، ولا بد أن يتعرض لها الإنسان بصورة أو بأخرى ، وعلم الله قديم سابق لا أول له ولا آخر ، لكن بهذا الابتلاء وذلك التمحيص تظهر الأحوال وتُختبر على حقيقتها – والله عليم خبير بها قبل أن تظهر بل قبل أن يخلق الإنسان – والفتنة المؤمنة التي تؤمن بالله هي معرضة أيضاً للابتلاء بكل أنواعه : " أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ " [العنكبوت : 2] ..

ن القلوب بيد الله عز وجل ، وهدايتها وتثبيتها مشيئة مطلقة لله في عباده ، وهو سبحانه أعلم بهم فهو الذي خلقهم .

والإنسان المؤمن يكون دائماً على وجلٍ وخوفٍ من ذلك . ودائماً يسأل الله العافية ويلجأ بقلبه ولسانه إلى الله عز وجل يطلب منه العون والثبات ، وأن يعطيه العزم على الصبر على ذلك ، ويشكر الله إذا عافاه أو ثبته وأعان ، ويرد الأمر كله لله .

أنواع ومجالات الابتلاء :

هناك ثلاثة أنواع في الابتلاء :

لابتلاء بالشر ، الابتلاء بالخير ، ابتلاء المجاهدين المؤمنين .

1- الابتلاء بالشر والخير من أمور الحياة كلها : " وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً " [الأنبياء : 35] .. " وَلَتَبْلُوكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ " [البقرة : 155]

ولذنوب الإنسان ومعاصيه دورٌ في ذلك : " كَذَلِكَ تَبْلُوكُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " [الأعراف : 163]

2- الابتلاء بالنعمة ونجاح الإنسان في عمله ، مثله في ذلك مثل الابتلاء بالأذى والشدة :

وهذا سيدنا سليمان u يقول : " هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " [النمل : 40] .. " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " [الكهف : 7] .. " وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " [المائدة : 48] .. " وَرَقِعَ بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ " [الأنعام : 165] ..

3- إيذاء المؤمنين المجاهدين من المحاربين لهم من الكفار :

وهذا الإيذاء يشمل كل شيء : النفس والمال وغير ذلك ، وقد تطول مدته حتى يرفعه الله عز وجل " لِيَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أُشْرِكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " [آل عمران : 186] ..

وقد يصل الابتلاء درجة شديدة جداً : " هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا " [الأحزاب : 11] .. " حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ " [البقرة : 214] .. " وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ " [البقرة : 49] ..

وقد وصف الله مكر وخطط هؤلاء الكافرين ضد المؤمنين : " وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّرْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالُ " [إبراهيم : 46] ..

الفرز والتمحيص :

حليتي التمحيص والفرز ، عمليتان مترابطتان متلازمتان مستمرتان ، والفرز يكون نتيجة طبيعية لعملية التمحيص ، والله يعلم حقيقة القلوب .

من خلال هذا الفرز يتحدد النماذج المؤمنة الصالحة من النماذج السيئة . يتحدد :

1- الخبيث من الطيب :

" حَتَّى يَمَيِّرَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ " [آل عمران : 179]

2- المؤمن من المنافق ، والمتخلفين عن الجهاد :

" وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَأَفَّفُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ تَعْلَمُونَ فِتْنًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ " [آل عمران : 166, 177]

3- المفسد من المصلح :

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ " [البقرة : 220]

4- الشاكر من الذي يكفر بنعمة الله ولا يرد الأمر إليه :

" هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ " [النمل : 40]

5- الصادق من الكاذب في دعوى الإيمان والجهاد في سبيل الله والثبات على دعوته :

" وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " [العنكبوت : 3]

6- نصره دين الله وحمل دعوته :

" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ " [الحديد : 25] ..

" لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ " [الجن : 28]

7- تجريد الولاء لله وللمؤمنين :

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " [التوبة : 16]

8- مدى خشية الله بالغيب ، وتقواه :

" لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ " [المائدة : 94]

9- إحسان العمل فيما أعطاه الله ، سواء في أمور الدنيا أو في أمور الإيمان :

" لِيَتَّبِعُوا أَحْسَنَ عَمَلًا " [الكهف : 7]

10- تمحيص وتحديد درجات الإيمان ومستوياته :

" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَيَّضَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ " [آل عمران : 140] ..

" وَلِيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا " [آل عمران : 141] ..

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " [آل عمران : 142] ..

" وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " [العنكبوت : 3] ..

استمرار قدر الله بالابتلاء بأنواعه كلها :

فهى ليست مرحلة وتنتهى ، لهذا لا يركن المؤمن أبداً إلى نفسه ، ولا يستهين بأفعال الشيطان وتزوينه ، ويراجع دائماً قلبه ويسد الثغرات التي قد ينفذ منها الشيطان ، وأن يكون دائماً على يقظة وأن يسيطر على هواه . وأن يسأل الله عز وجل حسن الخاتمة : " وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ تَبَّ الَّذِي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ بَشِرْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ " [الأعراف : 175 , 176] ..

وعلى الفئة المؤمنة أن تعرف طبيعة الطريق إلى الله ولا تغتر بثباتها ولا يتسرب العجب إليها من توفيق الله إياها لحظة واحدة ، وعليها أن تتحلى بالعزم في مواجهة التصييق والأذى ، وبالصبر ، واللجوء لله والتحلّى بالتقوى : " وَإِنْ تَصَيَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " [آل عمران : 186] ..

هذا التمحيص من الله ، يمحص الإنسان في جميع أحواله وأفعاله ، من مشاعر وأقوال وأفعال ، فهو يشمل :

1- السلوك الظاهر في القول والفعل .

2- تمحيص ما في الصدور ، أي حديث النفس والمعاني التي يعتقدها .

3- تمحيص ما في القلوب وما استقر في القلوب من معاني الإيمان والجهاد وميل القلب .

4- مدى اليقين والنصر في موعود الله .

" وَلِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَخِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [آل عمران : 154] ..

درجات ومستويات لابد من التمحيص فيها :

أ- مستوى الإيمان .

ب- مستوى المجاهدين والقيام بتبعات الجهاد .

ج- مستوى الصابرين .

د- مستوى الصادقين .

هـ- مستوى الإحسان .

يكذلك يبشر الله المؤمنين الصابرين بمدى تكريم الله لهم :

1- رضى الله عنهم وإدخالهم الجنة بدرجاتها المختلفة .

2- اتخاذ الشهداء ، وهى منزلة رفيعة جداً .

3- أن يكونوا أولياء الله وحمله دعوته والمجاهدين في سبيله .

4- أن يمحق الكافرين .

5- ألا يضرهم هذا الإيذاء إذا ثبتوا وصبروا واتقوا :

” لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى ” [آل عمران : 111] ..

” وَإِنْ تَضَيَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَبْصُرُنَّكُمْ كَبِيرًا ” [آل عمران : 120] ..

” وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَيَّضَ لَكُمْ شَهَادَةً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَيُمَخِّصَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَنَّ الصَّابِرِينَ (142) ” [آل عمران : 140-142] .

- وبنظرة سريعة على الابتلاءات التي تعرضت لها الفئة المؤمنة على عهد رسول الله ٢ ، نجد فيها هذه الأنواع :

1- ابتلاء التمحيص والاختبار وإرساء الإيمان وتقويته : وكان ذلك طوال الفترة المكية ، ثلاث عشرة سنة ، وكان شديداً متصلاً .

2- ابتلاء لتقويم الخلل وردّ النفوس إلى الصواب : مثال ما حدث لهم في غزوة أحد .

3- ابتلاء يهيبه الصف المجاهد لمستوى أعلى من الإيمان تمهيداً لمرحلة كبيرة من الانتصار والتمكين : مثال امتحان الصحابة في غزوة الأحزاب .

4- ابتلاء الفرز والتمحيص ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين : ومثاله ما تعرض له المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة من ابتلاءات وفتن ومؤامرات .

- وهناك ابتلاء كان من دعاء المؤمنين مع سيدنا موسى u : ” رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ” [يونس : 85] .